Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



ولو قلت فيه ألف بيت لما ظنَّ منها بيت فى ألف سنة».

وعلى هذا النحو كان الجاحظ البصرى أديبًا مشترَكا للعالم العربى، ومثله الكتّاب العباسيون النابهون فى عصره وقبل عصره وبعده من أمثال ابن المقفع وسهل بن هرون وأحمد بن يوسف وابن قتيبة. وللجاحظ عمل مهم عمق به وحدة التراث النثرى، وهو يتجلى بأروع صورة فى كتابه البيان والتبيين الذى عرض فيه روائع من خطابة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين وبعض حكام العراق ومصر وخراسان وروائع أخرى من الأشعار والأمثال والسجع والرسائل. والكتاب فى أربعة أجزاء ضخام تضم أروع صور البيان العربى نثرًا وشعرًا وأمثالاً وأخبارًا ونوادر، وكل ذلك يعرضه ليتخذ منه الأدباء الناشئون أمثلتهم الرفيعة فى البلاغة، وليتذوقوا خصائصها ويقفوا على أسرارها ودقائقها، وكأنه يقدم لهم المادة البيانية لإتقان العربية البليغة. وقد وضع لهم بأدبه وروائع رسائله وآثاره المثالَ الذى يصوِّر استخلاصه لخصائص اللغة الجمالية البديعة، وكأنه بذلك أهدى أدباء العربية وناشئتها المُثلَ البلاغية القديمة وأضاف إليها مثالاً عباسيا، بل مُثُلاً من كلام الكتّاب العباسيين. وهو يضيف إلى ذلك ملاحظات شتى له ولغيره من أفذاذ الكتاب توضح ما استنبطوه من مقومات البيان والبلاغة. وبذلك نفهم مدى العمل الذى أدَّاه الجاحظ للعربية وللمحافظة على أوضاعها ومقوماتها الجمالية، إذ نصب أمام أعين العرب فى كل بلد مُثُلَ النثر البليغة قديمًا وفى عصره حتى يستوعبوها ويصدروا عنها فى كتاباتهم، وهو قد نهج لهم بأدبه آثارًا أدبية رائعة يجدر بهم أن يحاكوها، وقد أخذوا يحاكونها منذ عصره، يحاكيها الفلاسفة مثل الكندى وكبار الكتّاب بعده أو قل كبيرهم أبو حيان التوحيدى الذى يعنى بأسلوب الازدواج فى كتاباته معادلاً بين كل عبارة وتاليتها معادلات صوتية بديعة، مع التفريعات فى المعانى والتوليدات والمقابلات فى لغة تمتع قارئه متعة هنيئة. وأبو حيان إنما هو واحد من مئات فى العالم العربى، بل عشرات المئات هداهم الجاحظ إلى مقومات العربية، كما قلنا بالمثال وباستخلاص قواعد البيان العربى وقوانينه البلاغية. وبذلك مكّن أقوى